الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء ، وفيهم نائب مولاه الأمير ووكلاء الدول وأكابر السراة والوجهاء- أكان يريد أن يقول : إن هؤلاء كلهم ممن كانوا يقصدون من نادى ابن غالى موئلا وكهف رجاء يستعطون من أريحية ساكنة الجواد ، ويستدرون من أفضاله ؟ أم أراد أن يقول كما قال الناس فى هذا المعنى فأخطأ التقليد؟ أم لعله كان لا يريد أن يقول شيئًا ؟ أم تراه يحس أنهم ملكوا عليه حتى دموع عينيه وأنه نائحة ألمعية أعد ليرثى كل من يموت من خدامها بلا مقابل؟» .

ومع ذلك فإن موقف العقاد من أحمد شوقى لم يتحدد نهائيا وعلى نحو قاطع إلا فى كتاب «الديوان» بجزأيه . . حيث نرى العقاد لا يقر لأحمد شوقى بأية موهبة ، بل بأية حسنة شعرية . وعلى العكس من ذلك يهاجم كل شعره جملة وتفصيلا أعنف الهجوم ، ولا يجد العقاد ضيرًا فى أن يكشف فى مقدمة هجومه الفنى على شوقى عن البواعث النفسية التى أضرمت فى نفسه كره هذا الشاعر ، فهو يتهمه بالزلفى لرجال السلطان وبإساءة استخدام ثروته فى إصطناع المهرجين والمطبلين ، والنيل من خصومه ومنافسيه سرًا وعلانية بما فى ذلك زملاء مدرسته الشعرية من أمثال حافظ إبراهيم . . وكل ذلك فضلا عما لم يصرح به العقاد ، مثل هجاء شوقى لعرابى والعرابيين تملقًا للخديوى وبخاصة فى القصائد التى كان ينشرها شوقى فى جريدة «المؤيد» وغيرها غفلا من إمضائه أو بإمضاء مستعار على نحو ما أثبت البحث الحديث . . وكل ذلك فضلا عن أن العقاد كان مرتبطا فى صدر حياته بمعسكر الشعب الممثل عندئذ فى «الوفد» أقوى تمثيل على حين كان شوقى لصيقًا بالسراى ومن يلوذ بها أو يناصرها ، ولم تظهر بعض اتجاهاته الشعبية إلا لماما وبعد عودته من منفاه فى أواخر الحرب العالمية الأولى .